الدرس الخامس العاشر

تفسير سورة الحاقة [٣٨ :٥٢]

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)}

وبعد أن وصف الله تعالى هذين المشهدين المتقابلين الذين بينهما بعد المشرقين، انتقل السياق إلى أمر عظيم يتعلق بهذا القرآن الذي يتلى فقال: {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُون * وَمَا لاَ تُبْصِرُون* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم} [الحاقة: ٣٨-٤٠].

(فلا أقسم) هذا تعبير يأتي كثيرا في القرآن مثل {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة: ١]، {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١]، وبعض العلماء يقول لا زائدة، أتي بها للتأكيد، والمعنى والله أعلم: لا يحتاج الأمر إلى قسم، لأنه من الوضوح بمكان، لا يوجب قسما، فيكون فيه زيادة في البيان والتأكيد للمراد ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله ﷻ، (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِّ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)[1]، فلا يجوز أن يقول: والشمس، والقمر، والفجر، والنبي، والكعبة، وشرفي، وشرف والدي ونحو ذلك، قال ﷺ : (لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِّ)[2]،فلا يجوز أن يحلف إلا بالله العظيم، أما الله سبحانه فله أن يقسم بما شاء من خلقه، وهذا كثير، قال الله: {وَالْفَجْرِ}

(1) أخرجه أحمد- (٥٥٩٤)، وأبو داود- (٣٢٥١)، والترمذي- (١٥٣٥)، واللفظ له.
[2] أخرجه البخاري- (٧٤٠١)، ومسلم- (١٦٤٦).

[الفجر: ١]، {وَالْعَصْرِ} [العصر: ١]، {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ } [التين: ١]، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس: ١]، كثير جدا.

وقوله: {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُون * وَمَا لاَ تُبْصِرُون} إذًا شمل كل شيء؛ لأن ليس ثم إلا مبصرات وغير مبصرات، وهذا يدل على أن ثم عوالم كثيرة غير مبصرات بالنسبة لنا، فأبصارنا تقع على الآدميين والشجر والجبال والدواب وسائر المرئيات، لكننا لا نبصر عالم الجن ولا عالم الملائكة ولا عالم الكائنات الدقيقة من الجراثيم والميكروبات والفيروسات وغير ذلك، عوالم لا يحيط بها إلا خالقها ﷻ، بل ذهب الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله إلى أن هذا يكون قسما بنفسه أيضًا؛ لأننا لا نرى الله في الدنيا، وجواب القسم{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم} [الحاقة:٤٠] أي هذا القرآن، لقول رسول كريم، يعني بلاغ رسول كريم، ولهذا عبر بكلمة رسول، لا أنه كلام الرسول، بل هو كلام الله ﷻ بدليل قوله بعد ذلك: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين} [الحاقة:٤٣] وإنما أضافه إليه قولا لكونه مبلغا، فلهذا وصفه بوصف الرسالة، والرسول هو من ينقل الخبر.

فنبينا ﷺ نقل وحي الله إلى عباد الله، ولأجل ذا قال في سورة التكوير: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِين* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين} [التكوير:١٩-٢١]، فالرسول في سورة التكوير جبريل، والرسول في سورة الحاقة محمد ﷺ، وهذا يدل على أنه ليس كلام أي منهما، لأنه لا يمكن أن يكون كلامهما معًا، وإنما مهمتهما، أي الرسول الملكي جبريل والرسول البشري محمد ﷺ هي إبلاغ الرسالة ونقل كلام الله إلى عباد الله، فبهذا يرتفع ما قد يحتج به بعض منكري القرآن وبعض المتكلمين الذين يقولون أنه مخلوق وأنه كلام محمد أو جبريل فبرأ ساحتهما وزكاهما ﷺ باعتبارهما الواسطة في إبلاغ كلام الله ﷻ إلى عباد الله.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وها هنتا قال سبحانه: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُون * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون} [الحاقة:٤٠-٤٢] ذلك أن الذي يعارض به القرآن من دعاوى المناوئين، إما حديث مفترى أو شعر مفتعل، فالحديث المفترى هو ما يفوه به الكهان الذين يدعون العلم بالمغيبات، ويكون لهم رئي من الشياطين أو ما يزجيه الشعراء من القصيد، فهذا هو الذي يعارض به القرآن في هذا الوقت ويحاول أن يحاكى به في كل وقت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِّ "، (فقالَ: جبَّارٌ في الجاهليَّةِ خوَّارٌ في الإسلامِ بمَ أتألَّفُهم أبشِعرٍ مفتعَلٍ أم بقولٍ مفترًى)[1]، فَقَالَ: وَاللهِّ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِّ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَ اللهِّ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»)[2]، فتأملوا كيف أن الله دوما يذكر بإيزاد القرآن ومقابلته تبرئته من الكهانة ومن الشعر؛ لأن منكري القرآن يحاولون وصفه بذلك، فتارة يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر هكذا.

وربما قالوا غير ذلك من التهم ليصرفوه عن حقيقته وأنه كلام رب العالمين. وقد وصف الله نبيه وأثنى عليه بهذا الوصف الجليل {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم}، فهذه تزكية من

[1] أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام وقال: منكر - (٣٢١/١). وأخرجه ابن تيمية في منهاج السنة (١٥٦/٤) وقال: من أشهر الأحاديث.

[2] أخرجه البخاري- (٧٢٨٤)، ومسلم- (٢٠).

رب العالمين لنبيه ﷺ، والكرم وصف لا يقتصر فقط على بذل المال، الكرم وصف يدل على حسن الأخلاق والطباع والمحتد.

ومعنى {قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُون* قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُون} : أي ما أقل إيمانكم وما أقل تذكركم، وقيل إن (ما)، زائدة لكنها في محلها تفيد التأكيد على قلة إيمانهم وقلة تذكرهم.

{تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين} [الحاقة:٤٣]، فهو كلام الله ﷻ نزل من عنده، وهذا يدل على علوه ﷻ فوق سماوته، فكما أن له علو الصفات وعلو القهر فله علو الذات، فهو ﷻ فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه، ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه، فيجب أن يعتقد الإنسان اعتقادا جازما بأن ربه الذي خلقه له العلو المطلق، فلهذا يجد الإنسان قلبه عند الدعاء متجها إلى الأعلى لا يذهب يمنة ولا يسرة ولا أمام ولا خلف ولا تحت، هكذا فطر الله الخلائق على اعتقاد علوه ونطقت النصوص بهذا كتابا وسنة وانعقد الإجماع ودل العقل والفطرة على علو الله بذاته.

ومن دلائله قوله: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين} [الحاقة:٤٣] لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل، فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة فأوحاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ، لقول الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} [التوبة:٦]، فالقرآن كلام الله، هذا أخص أوصافه، تكلم الله به حقيقة، فليس مجرد معنى يقوم في نفسه كما تقول الصفاتية من الأشاعرة والسالمية والماتريدية والكلابية الزاعمين أن القرآن معنى قديم قائم في نفس الرب، وأما ما سمعه جبريل أو سمعه الأنبياء فإنه عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله، لا ريب أن هذه بدعة صلعاء لم يفد بها أحد من السلف، وإنما ألجأهم إليها فساد

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

مقدماتهم وتأثرهم بالمنطق اليوناني الذي حرفهم عن طريقة السلف في إعطاء النصوص ما تستحقه من الإثبات والإقرار والإمرار.

والقرآن منزل، {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين}، {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِين} [الدخان:٣] {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر} [القدر:١]، {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ} [الحشر:٢١]، {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين} [الشعراء:١٩٣].

منه بدأ: أي تكلم الله به ابتداء، فصدر منه وخرج منه؛ لأنه صفته وكلامه.

وإليه يعود: يعني إليه ينسب، أو إليه يرفع في آخر الزمان، من الصدور ومن السطور تكرمة له.

واعلموا أن القرآن العظيم كان محل إنكار عند الكفار، ينكرون نسبته إلى الله؛ لأنهم لو أقروا بنسبته إلى الله لانتهت القضية ولزمهم قبول ما جاء به النبي ﷺ، ولما أملى رسول اللهﷺعلى على ابن أبي طالبرضي الله عنه في صلح الحديبية ، وقال هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله، قال سهيل بن عمرو، مندوب قريش لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فهم ينكرون أنه رسول من عند الله وأن ما جاء به كلام الله.

فكانت هذه المسألة من المسائل العظيمة التي عني بها القرآن المكي، تأملوا في هذه الصورة وستأتينا إن شاء الله قول الله تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر:١١-١٦] ثم قال الله: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ*فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ *سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر:١٨-٢٦].

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

فكانت عندهم هذه القضية، ولهذا قال الله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ:١-٣] أحد القولين أن النبأ العظيم هو القرآن العظيم، فكانوا ينكرون القرآن ونسبته إلى الله ﷻ، فأكد الله تعالى في هذه الآيات وأقسم قسما عظيما، {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة:٣٨-٤٣].

ثم إن الله ﷻ أقام دليلا بديعا من دلائل النبوة وصدق نبيه ﷺ فقال: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} أي لو نسب إلينا محمد ﷺ وحاشاه قولا لم نقله {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} طبعا هذا الفرض فرض في مقام المجادلة والمنازلة مع المخالف، ولا يلزم أن يقع، بل لا يمكن أن يقع، فإن الله قد زكى نبيه قبل قليل فقال: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}، لكنه أراد أن يبين لهم استحالة وامتناع أن يقر الله ﷻ أحدا على قول ينسبه إليه زورا وبهتانا.

فقال: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} بعض وليس كل، {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} واليمين إما أن تكون يمين الله ﷻ التي أثبتها لنفسه في الآيات والأحاديث، {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]، وفي الأحاديث أيضًا: " يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ "[1]، وإما أن المراد باليمين يمين النبي ﷺ، بمعنى أنه يؤخذ من العضو الذي يعتمد عليه ويركن إليه وهو اليمين، ولو أن الله تعالى أضاف اليمين إلى نفسه هنا لاعتبرنا هذه من الآيات الدالة على إثبات اليمين، كما

[1] أخرجه البخاري- (٤٨١٢)، ومسلم- (٢٧٨٧).

استدللنا بحديث أبي سعيد في سورة القلم: يوم يكشف عن ساق، ولم يضفها الله إلى نفسه اعتمدنا على حديث أبي سعيد الخدري على أن المراد بالساق ساق الرب ﷻ.

وهنا قال: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} ولم يضفه إلى نفسه فنقول يحتمل، فلا نقطع أن المراد باليمين هنا هو يمين الرب، لكن هذا محتمل، وقد ثبتت بأدلة أخرى.

{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} الوتين هو نياط القلب، العرق الذي يتعلق به القلب، يعني كأنه والله أعلم هو الشريان الكبير الذي يخرج من القلب الذي يسمونه الأورطي، فلو وقع ذلك من النبي ﷺ وحاشاه لأوقع الله به هذا الوعيد، ولكنه لم يقع، فدل ذلك على أنه راشد بار صادق.

وقد عد العلماء هذه الآية من دلائل النبوة، ودلائل النبوة كثيرة جدا، يظن بعض المتكلمين أن دليل النبوة منحصر بالآيات والمعجزات، لا، دلائل النبوة أكثر من أن تحصى، ومن دلائل النبوة لا شك الآيات والمعجزات، ومن دلائل النبوة مضمون دعوة الأنبياء والنبي ﷺ وما فيها من الحق، ومن دلائل النبوة سيرة النبي وخلقه وشمائله، وأيضًا ومن دلائل النبوة بشارة الأنبياء السابقين به، ومن دلائل النبوة هذه الآية.

كأنما يقول الله ﷻ: لو كان غير نبي لما أمهلته ولأخذته كما فعل الله ﷻ بسائر المكذبين، أرأيتم مثلا مسيلمة حينما ادعى أنه يوحى إليه وأتى بسجع نسبه إلى الله ﷻ، ماذا كانت نتيجته؟ لا يقال مسيلمة حتى يقال مسيلمة الكذاب، فصار الكذب أخص أوصافه، ولكن الله صدق نبيه، فهو صادق مصدوق.

ولهذا قال الله ﷻ: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} [الصافات:١٨٠-١٨١] وذلك لسلامة ما قالوه ونقلوه: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، دل ذلك على صدق نبوته، وتأملوا يا كرام كيف يمكن عقلا أن

يخرج أحد ويقول للناس أنا رسول من عند الله أبلغكم كلام الله، والله يخبركم بكذا ويأمركم بكذا وينهاكم عن كذا ثم ينقله الله تعالى من ضعف إلى قوة ومن هزيمة إلى نصر ويكثر أتباعه ويوطئ له أكناف الأرض ويفتح له البلاد والعباد، على ما يدل ذلك؟ على تصديق الله له.

الآن لو جاءنا إنسان من قبل السلطان وقال السلطان يقول لكم كذا ويأمركم بكذا وينهاكم عن كذا، وهو سلطان من سلاطين الأرض، ثم لم يرد من ذلك السلطان تكذيبا له ولا تعقب له ولا استدراك عليه نستنتج أنه صادق، كل واحد يقول في قرارة نفسه لو كان كاذبا على السلطان لما تركه السلطان ينسب إليه ما لم يقل ويأمر الناس ويستغلهم بسيف السلطان، والانتماء إليه.

فإذا كان هذا حاصلا بين الآدميين فكيف برب العالمين أن يخرج بشر ويقول أنا رسول من عند الله يأمركم بكذا وينهاكم عن كذا وخبركم بكذا ثم يؤيده ويكثر أتباعه وينقله من قلة إلى كثرة ومن ضعف إلى قوة ومن هزيمة إلى نصر، هذا دليل قاطع على أنه صادق مصدوق. فبهذا كانت هذه الآيات من دلائل النبوة.

{فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} يعني لو اجتمعتم أن تردوا هذا عنه ما استطعتم، بل سينفذ الله فيه مراده، وأنى لكم أن تحولوا بينه وبين مراد الله ﷻ؟ {فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}.

ثم قال: {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [الحاقة:٤٨] يرجع الضمير إلى القرآن، وقد ذكرنا في مستهل هذه السورة أن من مقاصد هذه السورة إثبات أن القرآن كلام الله وتعظيم القرآن، {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}، أي والله إن القرآن تذكرة وذلك لما يبعثه القرآن في النفوس من العلوم الصالحة والمعارف الصحيحة واليقينيات التي يعتصم بها.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

ولها قال الله ﷻ: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات:٥٥]، فالقرآن تذكرة، أي والله إنه لتذكرة، لكن للمتقين، فلا ينتفع بهذه التذكرة إلا من كان في قلبه تقوى وخشية لله.

وبعدها بآية يقول: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الحاقة:٥٠]، وهذا من العجب أن تجد الشيء الواحد يكون له أثران متعاكسان متقابلان، فهو بالنسبة للمتقين تذكرة وبركة ونفع، وبالنسبة للكافرين حسرة وندامة، وهو شيء واحد، ونظائر هذا في القرآن كثير كقول الله ﷻ: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء:٨٢].

أرأيتم؟ هو قرآن واحد لكنه بالنسبة للمؤمنين شفاء ورحمة وبالنسبة للكفار خسارة ونكبة، عجيب أمر هذا القرآن، وكذلك قال الله ﷻ في الآية الأخرى: {أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت:٤٤]، لا إله إلا الله، انظر كيف يكون القرآن بركة على أقوام ويكون شؤما على آخرين، فمن تقبله بقبول حسن لم يشق به، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ومن رده وأنكره صار حسرة عليه وندامة، لهذا قال ربنا ﷻ: {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ *وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ} وهذا يدل على اطلاع الله ﷻ على الخفايا والخبايا وأنه يعلم أن في المخاطبين مكذبين بالقرآن، {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} الذين كذبوا به، ووجه كونه حسرة عليهم أنه لما أنكروه تحسروا أشد التحسر يوم القيامة كما سمعنا في الآيات السابقة.

{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} يمنى أن لو لم يكن كذلك، {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِين * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ} وهذه أعلى درجات اليقين؛ لأن اليقين ثلاث درجات، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فعلم اليقين هو أن يبلغه الإنسان الخبر فيحدث له

نوع من التصديق، يقين، عين اليقين هو أن يعاينه ببصره، لكن حق اليقين هو تحقق وقوعه، فيبلغ بذلك أعلى الدرجات.

فلهذا قال الله: {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ} هذه أعلى درجات اليقين، {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة:٥٢] سبح: أي نزه ربك العظيم عما يفتريه الأفاكون والكاذبون.

الفوائد المستفادة:

الفائدة الأولى: نشر الصحف وإظهار عدل الله تعالى، لو شاء الله ﷻ لأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار دون أن يطلعهم على كشف الحساب، لكن لكمال عدل الله تعالى يظهره فيقول المؤمن: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه} ويقول الكافر: {يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه}.

الفائدة الثانية: إكرام المؤمن يوم القيامة وفرحه بموعود الله، كما مر بنا.

الفائدة الثالثة: بيان نعيم الجنة الحسي والمعنوي، وقد تقدم وصف ذلك.

الفائدة الرابعة: إهانة الكافر يوم القيامة وحسرته وندامته، كما تقدم.

الفائدة الخامسة: بيان عذاب النار الحسي والمعنوي بما سمعنا في هذه الآيات وما يوافقها ويشهد لها من آيات أخر.

الفائدة السادسة: أن اليمين علامة الكرامة والشمال علامة المهانة.

الفائدة السابعة: تفاهة الأعراض الدنيوية من مال وسلطان وعدم غنائها عن صاحبها، انظر ماذا يقول هذا الذي جمع مالا لبدا وصار له أتباع، وقال قائلهم: أليس لي ملك مصر، وغير ذلك، وقال إنما أوتيته على علم عندي، أي قارون، انظر ماذا يقول يوم القيامة، {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}، هذه الأرصدة والملايين والمليارات

تبخرت وطارت، {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}، هذا الجاه والسلطان والأبهة كلها اضمحلت، فعلينا أيها الأخوة ألا نتبع نفوسنا لعاعة الدنيا، نعم نستمتع بها بما قسم الله لكن لا نجعلها في قلوبنا، نجعلها في أيدينا.

الفائدة الثامنة: أن النجاة والفلاح تكون بالإيمان بالله، بدليل قوله: {إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ الْعَظِيمِ} [الحاقة:٣٣] فلما فقد الإيمان فقد النجاة.

الفائدة التاسعة: التلازم بين الإيمان والعمل والخلق والسلوك، انظروا كيف قال الله: {إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} ففاقد الإيمان يفقد الرحمة والخلق وكل شيء، يفقد آدميته وإنسانيته، وفي المقابل فالمؤمن يكون لنا هينا رحيما ذا خلق عظيم.

الفائدة العاشرة: فضل الإحسان إلى المساكين والحض عليها، وهذا ظاهر.

الفائدة الحادية عشرة: فضيلة الرحمة، وأن الراحمين يرحمهم الله.

الفائدة الثانية عشرة: تقطع الأسباب يوم القيامة بالكافرين، {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ} [الحاقة:٣٥] ما عنده أحد.

الفائدة الثالثة عشرة: سعة ملك الله وتناوله للمبصرات وغير المبصرات، {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ}.

الفائدة الرابعة عشرة: إقسام الله بمخلوقاته.

الفائدة الخامسة عشرة: إثبات رسالة النبي ﷺ وبلاغه البلاغ المبين كما ذكرت لكم من دلائل النبوة.

الفائدة السادسة عشرة: ثناء الله تعالى على نبيه ﷺ بالكرم، وقلت لكم أن الكرم يدل على مجمل ومجموع الصفات الحميدة.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة السابعة عشرة: أن نسبة القرآن إلى النبي ﷺ أو أن إضافة القرآن إلى النبي ﷺ إضافة بلاغ لقوله: رسول.

الفائشدة الثامنة عشرة: تنزيه القرآن العظيم عن وصفه بالشعر والكهانة، نزهه عن هذا وهذا.

الفائدة التاسعة عشرة: أن ما يعارض به المفترون القرآن إما حديث مفترى وهو حديث القرآن أو شعر مفتعل.

الفائدة العشرون: إثبات تنزيل القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، تنزيل من رب العالمين.

الفائدة الحادية والعشرون: إثبات علو الله تعالى بذاته فوق سماواته لأنه قال: تنزيل.

الفائدة الثانية والعشرون: إبطال الشبهات المتعلقة بالقرآن من المشركين والمستشرقين والملحدين، فهذه الآيات تبطل ذلك، المشركون في زمن النبي ﷺ، والمستشرقون من اليهود والنصارى الذين حاولوا الطعن في القرآن، والملاحدة الجدد الذين يفعلون بالقرآن، كل هذه الآيات تنسخ شبهاتهم.

الفائدة الثالثة والعشرون: دليل بديع من دلائل النبوة.

الفائدة الرابعة والعشرون: عظيم قدرة الله وامتناعه وعزته وعجز الخلائق أمامه، {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}.

الفائدة الخامسة والعشرون: ذكر الاحتمال الممتنع في مقام المحاجة والمجادلة، فالله ذكر احتمالا لا يتحقق {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} وهذا لا يكون، فالله نزه نبيه وبرأه عن مثل هذا.

الفائدة السادسة والعشرون: اتصاف القرآن بالتذكرة، {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}.

الفائدة السابعة والعشرون: اطلاع الله على خفايا النفوس، وكمال علمه وما ينطوي عليه ذلك العلم من تهديد، {وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ} فأين تذهب؟ أنت مكشوف لله تحت سمعه وبصره.

الفائدة الثامنة والعشرون: تحسر المشركين على التكذيب بالقرآن العظيم يوم القيامة وما جاء به، {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

الفائدة التاسعة والعشرون: وصف القرآن بأعلى درجات الثبوت وهو حق اليقين.

الفائدة الثلاثون: وجوب تنزيه الله عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين ووجوب تعظيمه، {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} سبحان ربي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله